

بلوغ المرام
في صلة الأرحام
الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

بلوغ المرام في صلة الأرحام

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



مُقَدِّمَة

الحمد للهِ على ما له من الأسماءِ الحسنى ، والصفاتِ الكاملةِ العظيمةِ العليا، وعلى آثارها الشاملةِ للأولى والأخرى.

وأصلي وأسلم على نَبِيِّنَا محمدٍ - صلى الله عليهِ وسلم– أجمع الخلق لكلِ وصفٍ حميدٍ ، وخلقٍ رشيدٍ ، وقولٍ سديدٍ ، وعلى أصحابهِ وأتباعهِ من جميعِ العبيدِ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَبَيَانِ فَضْلِهَا وَمَنْزِلَةِ أَهْلِهَا،وَالتَّحْذِيرِ مِنْ قَطِيعَتِهَا،وَبَيَانِ شُؤمِ ذَلِكَ عَلَى الْقَاطِعِ،طَلَبَ مِنِي كِتَابَتَهَا بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْحَرِيصِينَ عَلَى اتِّبَاعِ مَنْهَجِ اللهِ تَعَالَى-أَحْسَبُهُمْ كَذَلِكَ وَلَا أُزَكِّيهِمْ عَلَى اللهِ وَاللهُ حَسِيبُهُمْ-فَاسْتَجَبْتُ لِطَلَبِهِمْ وَشَرَعْتُ فِي كِتَابَتِهَا وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ(بُلُوغُ الْمَرَامِ فِي صِلَةِ الْأَرْحَامِ)وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهَا لِوَجْهِهِ خَالِصَةً،وَمِنَ النِّيرَانِ مُخَلِّصَةً،وَإِلَى الْجِنَانِ مُقَرِّبَةً،وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَا كَاتِبَهَا وَقَارِئَهَا وَنَاشِرَهَا وَمَنْ عَمِلَ بِهَا إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَمَوْلَاهُ،رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرِ.



(التَّمْهِيدُ)

-مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى {الْحَكِيمُ} قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.(النِّسَاء:٢٦).،وقَالَ تَعَالَى:{وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا}.(النّساء:١٣٠).،وقَالَ تَعَالَى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}.(النّور:١٠).،وقَالَ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}.(الشّورى:٥١).

-فَالْحَكِيمُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ،وَالْحِكْمَةُ صِفَتُهُ.

-وَمِنْ مَعَانِي الحَكِيمِ:

(١) الَّذِي يُحْكِمُ الأَشْيَاءَ وَيُحْسِنُ دَقَائِقَ الصِّنَاعَاتِ وَيُتْقِنُهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:{صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}.(النَّمل:٨٨).فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي لَا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ.

(٢)وَالحَكِيمُ أَيْضًا:هُوَ الَّذِي يُحْكِمُ الأَمْرَ وَيَقْضِي فِيهِ وَيَفْصِلُ دَقَائِقَهُ وَيُبَيِّنُ أَسْبَابَهُ وَنَتَائِجَهُ،فَهُوَ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ فِيمَا قَضَى بَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ قَضَايَاهُ.

•وَحُكْمُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ نَوْعَانِ:

-أَوَّلًا: حُكْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالتَّدْبِيرِ الكَوْنِيِّ وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالمَشِيئَةِ، وَمَشِيئَةُ اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالمَعْنَى الكَوْنِيِّ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَمِنْ ثَمَّ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَمِنْ هَذَا الحُكْمِ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.(الرَّعد: ٤١).، وَكَذَلِكَ قَوْلِهِ:{قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}.(الأنبياء: ١١٢).، أَيِ: افْعَلْ مَا تَنْصُرُ بِهِ عِبَادَكَ، وَتَخْذُلُ بِهِ أَعْدَاءَكَ.

-ثَانِيًا: حُكْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالتَّدْبِيرِ الشَّرْعِيِّ وَهُوَ حُكْمٌ تَكْلِيفِيٌّ دِينِيٌّ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ وَمَوْقِفُ المُكَلَّفِينَ يَوْمَ الحِسَابِ، وَمِثَالُهُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ}. (المائدة: ١).، وَمِثَالُ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ}.(الشُّورى: ١٠).، وَقَوْلُهُ:{وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ}.(المائدة:٤٣).

(٣)وَالْحَكِيمُ أيضاً:فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ،فَيَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ،فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا الصَّوَابَ،فَأَفْعَالُهُ سَدِيدَةٌ،وَصُنْعُهُ مُتْقَنٌ،وَلَا يَظْهَرُ الفِعْلُ الْمُتْقَنُ السَّدِيدُ إِلَّا مِنْ حَكِيمٍ،كَمَا لَا يَظْهَرُ الْفِعْلُ عَلَى وَجْهِ الاخْتِيَارِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ قَدِيرٍ.

•قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي(طَرِيقِ الْهِجْرَتَيْنِ ص:١٦١): {الحَكِيمُ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، وَالحِكْمَةُ مِنْ صِفَاتِهِ العُلَى،وَالشَّرِيعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ أَمْرِهِ مَبْنَاهَا عَلَى الحِكْمَةِ،وَالرَّسُولُ المَبْعُوثُ بِهَا مَبْعُوثٌ بِالكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، وَالحِكْمَةُ هِيَ سُنَّةُ الرَّسُولِ وَهِيَ تَتَضَمَّنُ العِلْمَ بِالحَقِّ وَالعَمَلَ بِهِ وَالخَبَرَ عَنْهُ وَالأَمْرَ بِهِ، فَكُلُّ هَذَا يُسَمَّى حِكْمَةً، وَفِي الأَثَرِ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، وَفِي الحَدِيثِ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةٌ، فَكَمَا لَا يَخْرُجُ مَقْدُورٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ فَهَكَذَا لَا يَخْرُجُ عَنْ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ حَمْدًا اسْتَحَقَّهُ لِذَاتِهِ وَصَدَرَ عَنْهُ خَلْقُهُ وَأَمْرُهُ، فَمَصْدَرُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَنِ الحِكْمَةِ}.

•فَالْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ هُوَ المُتَّصِفُ بِحِكْمَةٍ حَقِيقِيَّةٍ عَائِدَةٍ إِلَيْهِ وَقَائِمَةٍ بِهِ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ وَالتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ فَسَوَّى،وَقَدَّرَ فَهَدَى،وَأَسْعَدَ وَأَشْقَى، وَأَضَلَّ وَهَدَى،وَمَنَعَ وَأَعْطَى،فَهُوَ المُحْكِمُ لِخَلْقِ الأَشْيَاءِ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الحَكِيمُ فِي كُلِّ مَا فَعَلَهُ وَخَلَقَهُ، حِكْمَةً تَامَّةً اقْتَضَتْ صُدُورَ هَذَا الخَلْقِ، وَنَتَجَ عَنْهَا ارْتِبَاطُ المَعْلُولِ بِعِلَّتِهِ وَالسَّبَبِ بِنَتِيجَتِهِ، وَتَيْسِيرَ كُلِّ مَخْلُوقٍ لِغَايَتِهِ، وَإذَا كَانَ اللهُ عز وجل يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ لَهُ قَضَاءٌ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، إِلَّا أَنَّهُ الحَكِيمُ الذِي يَضَعُ الأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَيَعْلَمُ خَوَاصَّهَا وَمَنَافِعَهَا، وَيُرَتِّبُ أَسْبَابَهَا وَنَتَائِجَهَا.

(انْظُرْ:"الاعتقاد وَالهداية إلى سبيل الرَّشاد":ص ٦٠).

•وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَتَصَرَّفُ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى إِلَّا لِحِكَمٍ عَظِيمَةٍ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ شَيْءٌ خَالٍ مِنَ الْحِكْمَةِ؛لأنَّ الْفِعْلَ وَالتَّصرُّفَ الْخَالِي مِنَ الْحِكْمَةِ هُوَ فِعْلٌ وَتَصَرُّفٌ بَاطِلٌ وَعَبَثٌ ، وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ .

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ}.(ص : ٢٧) .

-وَقَالَ تَعَالَى :{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(١١٥)فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. (المؤمنون :١١٦:١١٥) .

•فَاللهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِحِكْمَةٍ هِيَ الابْتِلَاءُ وَالاخْتِبَارُ،وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ،وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ للابْتِلَاءِ وَالاخْتِبَارِ ،لِيَبْتَلِيَ النَّاسَ،مَنْ يُطِيعُهُ لِيُثِيبَهُ،وَمَنْ يَعْصِيهِ لِيُعَاقِبَهُ

،قَالَ تَعَالَى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ}.(هود:٧).وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}. (الملك: ٢) .

•وَبِهَذَا الابْتِلَاءِ تَظْهَرُ آثَارُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ، مِثْل اسْم اللهِ تَعَالَى (الرَّحْمَن) ، وَ (الْغَفُور) وَ (الْحَكِيم) وَ (التَّوَّاب) وَ (الرَّحِيم) وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى .

•وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَوَامِرِ الَّتِي خَلَقَ اللهُ الثَّقَلَيْنِ -الْإِنْس وَالْجِنّ- مِنْ أَجْلِهَا – وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الابْتِلَاءَاتِ - : الْأَمْرُ بِتَوْحِيدِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَقَدْ نَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ فِي خَلْقِ الثَّقَلَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ }. (الذَّاريات:٥٦) .

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :{أيْ : إنَّمَا خَلَقْتُهُمْ لآمُرَهُمْ بِعِبَادَتِي ، لَا لاحْتِيَاجِي إلَيْهِمْ،وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : إلَّا لِيَعْبُدُون ، أيْ : إلَّا لِيُقِرُّوا بِعِبَادَتِي طَوْعاً أوْ كَرْهاً ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : إلَّا لِيَعْرِفُونِ ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أنَسٍ : إلَّا لِيَعْبُدُونِ ، أيْ : إلَّا للعِبَادَةِ } انتهى . (انْظُرْ:"تفسير ابن كثير " : ٤ / ٢٣٩) .

-وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:{فَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ بِأسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ،وَأمَرَهُمْ بِذَلِكَ،فَمَنِ انْقَادَ،وَأدَّى مَا أُمِرَ بِهِ،فَهُوَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ،وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ،وَلا بُدَّ أنْ يَجْمَعَهُمْ فِي دَارٍ ، يُجَازِيهِمْ فِيهَا عَلَى مَا أمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ ، وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ تَكْذِيبَ الْمُشْرِكِينَ بِالْجَزَاءِ ، فَقَالَ :{وَلَئِنْ قُلْتَ إنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } أيْ : وَلَئِنْ قُلْتَ لِهَؤُلَاءِ ، وَأخْبَرْتَهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، لَمْ يُصَدِّقُوكَ ، بَلْ كَذَّبُوكَ أشَدَّ التَّكْذِيبِ ، وَقَدَحُوا فِيمَا جِئْتَ بِهِ ، وَقَالُوا :{إنْ هَذَا إلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} ألَا وَهُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ }انْتَهَى . (انْظُرْ:"تفسير السَّعديِّ":ص ٣٣٣)

•وَمِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِهَا صِلَةُ الْأرْحَامِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ الْقَطِيعَةِ وَهَذَا مَا سَوْفَ أُوَضِّحُهُ فِي الْفَصْلَيْنِ الْآتِيَيْنِ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَضْلِهِ.

بلوغ المرام في صلة الأرحام

{الْفَصْلُ الأَوَّلُ}:فَضْلُ صِلَةِ الأَرْحَامِ

•أوَّلاً:تَعْرِيفُ الْأرْحَامِ:

-الْأرْحَامُ هُمُ الْأقَارِبُ مِنَ النَّسَبِ مِنْ جِهَةِ أُمِّكَ وَأبِيكَ ، وَهُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:{..وَأُولُوا الْأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ}.(الأنفال:٧٥).

-وَأقْرَبُهُمْ : الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ وَالْأجْدَادُ وَالْأوْلَادُ وَأوْلَادُهُمْ مَا تَنَاسَلُوا ، ثُمَّ الْأقْرَبُ فَالْأقْرَبُ مِنَ الْإخْوَةِ وَأوْلَادِهِمْ ، وَالْأعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَأوْلَادِهِمْ ، وَالْأخْوَالِ وَالْخَالَاتِ وَأوْلَادِهِمْ ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٧٥٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قَالَ : {أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبُوكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ}.

-فَالْوَالِدَانِ هُمَا الْمَصْدَرُ الثَّانِي للوُجُودِ بَعْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِهَذَا قَرَنَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ فِي وُجُوبِ الشُّكْرِ، حَيْثُ يَقُولُ:{أنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إلَيَّ الْمَصِيرُ }.(لقمان: ١٤).،

وَقَرَنَهُمَا بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِينَ أمَرَ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَقَالَ: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً}. (النِّسَاء: ٣٦).،وَقَالَ :{وَقَضَى رَبُّكَ ألَّا تَعْبُدُوا إلَّا إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً } .(الإسراء: ٢٣).، وَقَرَنَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عُقُوقَهُمَا بِالإشْرَاكِ بِاللهِ، حِينَ سَرَدَ أكْبَرَ الْكَبَائِرِ، فَقَالَ:{الإشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ}.

-وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ رَمْزٌ للوَفَاءِ وَالاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ، وَرَمْزٌ للشُّكْرِ عَلَى الْمُنْعِمِ بِنِعْمَةٍ، وَالْحَدِيثُ يَقُولُ:{لَمْ يَشْكُرْنِي مَنْ لَمْ يَشْكُرْ مَنْ أجْرَيْتُ النِّعْمَةَ عَلَى يَدَيْهِ}.

-كَمَا جَعَلَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَثْرَةَ الْعُقُوقِ عَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ وَظُهُورِ الْفِتَنِ وَانْقِلَابِ الْأحْوَالِ، وَقَدْ رَسَمَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَظَاهِرَ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، بِقَوْلِهِ :{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً(٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }. (الإسراء: ٢٣: ٢٤).

-وَهَذَا الْبِرُّ مَهْمَا بَلَغَ لَا يُكَافِئُ فَضْلَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، فَالرَّجُلُ الَّذِي حَمَلَ أُمَّهُ سَاعَاتٍ، يَمْشِي بِهَا عَلَى الرِّمَالِ الْحَارِقَةِ الَّتِي لَوْ وُضِعَتْ عَلَيْهَا اللَّحْمُ لَنَضِجَتْ، يَحْمِي رِجْلَيْهَا مِنَ الاحْتِرَاقِ، وَيُعَرِّضُ رِجْلَيْهِ هُوَ للاحْتِرَاقِ، سَأَلَ: هَلْ جَازَيْتُ بِذَلِكَ أُمِّي؟ فَأُجِيبَ: لَعَلَّكَ كَافَأْتَهَا بِذَلِكَ عَنْ طَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَخْسَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ نَخَسَاتِكَ لَهَا عِنْدَ وِلَادَتِكَ،وَفِي الصَّحِيحِ:{لَنْ يَجْزِيَ وَلَدٌ وَالِدَهُ، حَتَّى يَجِدَهُ مَمْلُوكا، فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ}.

-وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ تَطَوُّعاً، وَعَلَى التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ،لَأَنَّهُ وَاجِبٌ عَيْنِيٌّ، وَالتَّطَوُّعُ بِالْجِهَادِ أَصْلُهُ وَاجِبٌ كِفَائِيٌّ.

-وَسَبَبُ تَقْدِيمِ الْأمِّ فِي الْبِرِّ عَلَى الْأبِ كَثْرَةُ تَعَبِهَا عَلَى الابْنِ، وَشَفَقَتِهَا عَلَيْهِ، وَخِدْمَتِهَا لَهُ، وَمُعَانَاةِ الْمَشَاقِّ فِي حَمْلِهِ، ثُمَّ وَضْعِهِ،ثُمَّ إِرْضَاعِهِ، ثُمِّ تَرْبِيَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَتَمْرِيضِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،

وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى بِرِّ الابْنِ أَكْثَرَ مِنَ الْأبِ، لِضَعْفِهَا غَالِباً.

-وَقَوْلُهُ:(ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)أيْ:الْأقْرَبُ فَالْأقْرَبُ، وَالْأحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

-أمَّا أقَارِبُ الزَّوْجَةِ : فَلَيْسُوا أرْحَاماً لِزَوْجِهَا إذَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ قَرَابَتِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ أرْحَامٌ لأوْلَادِهِ مِنْهَا ،فَأقَارِبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لَيْسُوا أرْحَاماً للأخَرِ ،وَمَعَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي الإحْسَانُ إلَيْهِمْ ، لأنَّ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَمِنْ أسْبَابِ زِيَادَةِ الأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ .

•هَذَا عَنْ حَدِّ الرَّحِمِ الْخَاصَّةِ وَهُمُ الْأقَارِبُ،وَهُنَاكَ الْقِسْمُ الثَّانِي وَهُمُ الرَّحِمُ الْعَامَّةُ وَهُمْ عُمُومُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ،لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.(التَّوبة:٧١).

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ السَّلَامِ بِرَقَمِ"٤١٣٩" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ : رَدُّ السَّلَامِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ}.

•ثَانِياً:تَعْرِيفُ صِلَةِ الْأرْحَامِ وَأقْسَامُ الْوَاصِلِينَ:

-صِلَةُ الرَّحِمِ تَعْنِي الْإحْسَانَ إلَى الْأقْرَبِينَ، وَإِيصَالَ مَا أمْكَنَ مِنَ الْخَيْرِ إلَيْهِمْ، وَدَفْعَ مَا أمْكَنَ مِنَ الشَّرِّ عَنْهُمْ.

-وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَكُونُ بِأُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، مِنْهَا : الزِّيَارَةُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَالْإحْسَانُ إلَيْهِمْ ، وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى ، وَأمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ .

-قَالَ الْإمَامُ النَّوَوِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :{صِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الْإحْسَانُ إلَى الْأقَارِبِ عَلَى حَسَبِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ ؛ فَتَارَةً تَكُونُ بِالْمَالِ ، وَتَارَةً تَكُونُ بِالْخِدْمَةِ

، وَتَارَةً تَكُونُ بِالزِّيَارَةِ ، وَالسَّلَامِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ }انْتَهَى .(انْظُرْ:"شرح مسلم " : ٢ / ٢٠١).

-وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الصَّالِحُ الْعُثَيْمِينُ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: {وَصِلَةُ الْأَقَارِبِ بِمَا جَرَى بِهِ الْعُرْفُ وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ ؛ لأنَّهُ لَمْ يُبَيَّنْ فِي الْكِتَابِ وَلَا السُّنَّةِ نَوْعُهَا وَلَا جِنْسُهَا وَلَا مِقْدَارُهَا ؛ لأنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لَمْ يُقَيِّدْهُ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ ،بَلْ أطْلَقَ ؛وَلِذَلِك يُرْجَعُ فِيهَا للعُرْفِ ،فَمَا جَرَى بِهِ الْعُرْفُ أَنَّهُ صِلَةٌ فَهُوَ الصِّلَةُ ،وَمَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ أَنَّهُ قَطِيعَةٌ فَهُوَ قَطِيعَةٌ } انْتَهَى .

(انْظُرْ:"شرح رياض الصَّالحين ":٥ / ٢١٥) .

•وَمِنْ خِلَالِ التَّعْرِيفِ للأرْحَامِ وَمَفْهُومِ الصِّلَةِ يَتَّضِحُ أَنَّ النَّاسَ مِنْ حَيْثُ الصِّلَةِ وَعَدَمِهَا يَنْقَسِمُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ هِيَ:

(١)وَاصِلٍ وَهُوَ مَنْ يُحْسِنُ إِلَى الْأَقَارِبِ.

(٢) قَاطِعٍ وَهُوَ مَنْ يُسِيءُ إلَيْهِمْ.

(٣) لَا وَاصِلٍ وَلَا قَاطِعٍ وَهُوَ مَنْ لَا يُحْسِنُ وَلَا يُسِيءُ، وَرُبَّمَا يُسَمَّى الْمُكَافِئَ وَهُوَ الَّذِي لَا يُحْسِنُ إِلَى أقَارِبِهِ إلَّا إذَا أحْسَنُوا إلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْإِسَاءَةِ إلَيْهِمْ.

•ثَالِثاً:صِلَةُ الْأَرْحَامِ فِي نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

-وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ صِلَةِ الْأرْحَامِ وَوُجُوبِ الْإحْسَانِ إلَيْهِمْ مِنْهَا:

(أ)-عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. (النِّساء:١).

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ}.أيْ : وَاتَّقُوا اللهَ بِطَاعَتِكُمْ إيَّاهُ ، وَاتَّقُوا الأرْحَامَ أنْ تَقْطَعُوهَا ، وَلَكِنْ بِرُّوهَا وَصِلُوهَا.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.(الرّعد:٢٥).

-فَقَوْلُهُ:{وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ}أيْ:وَيقْطَعُونَ الرَّحِمَ الَّتِي أمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهَا.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}. (الإسراء:٢٤:٢٣).

-فَبَعْدَ الْأمْرِ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،أمَرَ بِالْإِحْسَانِ للوَالِدَيْنِ وَنَهَى عَنْ الْإِسَاءَةِ إلَيْهِمَا وَهُمَا أعَلَى الْأرْحَامِ مَنْزِلَةً وَفَضْلاً.

-وَقَالَ تَعَالَى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا }.(الإسراء:٢٦).

-فَفِي الآيَةِ أَمْرٌ بِصِلَةِ الأرْحَامِ وَإِعْطَائِهِمْ الْحَقّ غَيْر مَنْقُوصٍ.

-وَقَالَ تَعَالَى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ}.(محمّد:٢٣:٢٢).

-فَالتَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-يُثْمِرُ الاسْتِقَامَةَ وَصِلَةَ الْأرْحَامِ بَيْنَمَا الْإعْرَاض عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُثْمِرُ الإفْسَادَ فِي الْأرْضِ وَقَطِيعَةَ الْأرْحَامِ.

(ب)عَلَى مَائدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

-أخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٩٧٥)عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ قَالَ:{ هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ قَالَ لَا قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَبِرَّهَا}.

-فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ أنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ.

-وَأَخْرَجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٤٧٩٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ :{لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ}.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ سَبِيلُ التَّأيِيدِ مِنَ اللهِ.

-وَأَخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٢٥٥٧)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ}.

-وَ (بَسْطُ الرِّزْقِ) تَوْسِيعُهُ وَكَثْرَتُهُ ، وَقِيلَ : الْبَرَكَةُ فِيهِ . وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فِي الْأَجَلِ فَفِيهِ سُؤَالٌ مَشْهُورٌ ، وَهُوَ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَجْوِبَةٍ الصَّحِيحُ مِنْهَا:

-الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِالْبَرَكَةِ فِي عُمْرِهِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ ، وَعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَصِيَانَتِهَا عَنِ الضَّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ .

-وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَظْهَرُ لِلْمَلَائِكَةِ وَفِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَيَظْهَرُ لَهُمْ فِي اللَّوْحِ أَنَّ عُمْرَهُ سِتُّونَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ فَإِنْ وَصَلَهَا زِيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى

عِلْمِ اللهِ تَعَالَى وَمَا سَبَقَ بِهِ قَدَرُهُ لَا زِيَادَةَ بَلْ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا ظَهَرَ لِلْمَخْلُوقِينَ تُتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ ، وَهُوَ مُرَادُ الْحَدِيثِ .

-وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ بَقَاءُ ذِكْرِهِ الْجَمِيلَ بَعْدَهُ ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ . حَكَاهُ الْقَاضِي ، وَهُوَ ضَعِيفٌ أَوْ بَاطِلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٢٥٥٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَذَاكِ لَكِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

فَالْحَدِيثُ فِيهِ تَعْظِيمُ شَأْنِ الرَّحِمِ ، وَفَضِيلَةُ وَاصِلِيهَا ، وَعَظِيمُ إِثْمِ قَاطِعِيهَا بِعُقُوقِهِمْ ، لِهَذَا سُمِّيَ الْعُقُوقُ قَطْعًا ، وَالْعَقُّ الشَّقُّ كَأَنَّهُ قَطَعَ ذَلِكَ السَّبَبَ الْمُتَّصِلَ.

(ج)آثَارُ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

•وَرَدَتْ آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي فَضْلِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

-مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٣٠١)

مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا :{كُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ الْحَدِيثِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ}الْعَشْرَ الْآيَاتِ كُلَّهَا فِي بَرَاءَتِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ :وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىوَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِۖوَلْيَعْفُوا

وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الْآيَةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ :بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا}.

-فَانْظُرْ إِلَى فَضْلِ الصِّلَةِ حَتَّى لِمَنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّكَ وَكَيْفَ أَنَّهَا سَبَبٌ للمَغْفِرَةِ فَتَدَبَّرْ.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٧٤١)

مِنْ حَدِيثِ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ، قَالَ :{كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ ،سَأَلَهُمْ :أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الْكُوفَةَ ، قَالَ : أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَوَافَقَ عُمَرَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ ، قَالَ : تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : لَقِيتَ عُمَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ ، قَالَ أُسَيْرٌ : وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً ، فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ : مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ}.

فَالصِّلَةُ وَالْبِرُّ طَرِيقُ الْوِلَايَةِ ،فَبِسَبَبِ بِرِّ أُوَيْسِ بْنِ عَامِرٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- لأمِّهِ وَصِلَتِهِ لَهَا نَالَ الْوِلَايَةَ وَذَكَرَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَطَلَبَ

مِنْ عُمِرَ الْفَارُوق-رَضِي. اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-إِذَا الْتَقَى بِهِ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ فَتَدَبَّرْ.

-وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ أَنَّهُ قَالَ:{لَمَّا نَزَلَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكُوفِيُّ بِبَغْدَاد عَلَى ابْنِ الْمُسَيِّبِ، فَلَمَّا عَبَرَ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ جَاءَ الْمَدُّ -يَعْنِي: النَّهْر- فَقُلْتُ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: تَعْبُرُ؟ فَقَالَ: أُمِّي لَا تَدَعُنِي، أُمِّي مَا تَسْمَحُ لِي أَنِّي أَعْبُرُ النَّهْرَ فِي حَالَةِ الْمَدِّ، الإِمَامُ أَحْمَدُ أُمُّهُ مَا تَسْمَحُ، فَجَلَسَ، يَقُولُ: فَعَبَرْتُ أَنَا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ الْحِرصِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَاحِبَ هَذَا الإِمَامَ، وَيَكْتُبَ عَنْهُ الْحَدِيثَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، لَكِنْ وَقَفَ عِنْدَ رَغْبَةِ أُمِّهِ}. (انْظُرْ:"تاريخ بغداد وذيوله": ٧: ٢٦٦).

-وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ -الدَّارَانِيِّ-قَالَ:{مَا وَجَدْنَا شَيْئاً أَعْجَل ثَوَاباً مِنْ بِرِّ الْقَرَابَةِ. كُنْتُ رُبَّمَا نَوَيْتُ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى أَخٍ لِي بِالْعِرَاقِ فَأَجِدُ ثَوَابَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَكْتَرِيَ ، وَقَبْلَ أَنْ أَتَجَهَّزَ ، وَأَيُّ شَيءٍ صِلَتِي لَهُ لَيْسَ عِنْدِي شَيءٌ أُعْطِيه، وَلَكِنْ أَرْجُو إِذَا رَأَوْنِي وَصَلُوهُ}.(انْظُرْ:"تاريخ بغداد":٨: ٣٦٦).



-

مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ وَعَدَمِ الْإِحْسَانِ لَهُمْ،وَعَدَمِ الْإِنْفَاقِ عَلَى فَقِيرِهِمْ،وَعَدَمِ الشَّفَاعَةِ لِمَظْلُومِهِمْ،وَالْجَفَاءِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ شَرْعِيٍّ،وَعَدِمِ الاتِّصَالِ بِهِمْ،وَعَدَمِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ.

-وَهَذِهِ الْقَطِيعَةُ سَبَبٌ للوُقُوعِ فِي الْفِسْقِ وَالْخُسْرَانِ، وَتُوجِبُ لَعْنَةَ اللهِ وَتَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا،وَهِي سَبِيلٌ لِقَطْعِ الْوَصْلِ مَعَ اللهِ تَعَالَى،وَتَمْنَعُ رَفْعَ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى،وَهِيَ سَبَبٌ للحِرْمَانِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

-وَإِلَيْكَ أَدِلَّةُ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

(أ)عَلَى مَائدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.(البقرة:٢٧:٢٦).

-فَنَقْضُهُمْ لِعَهْدِهِمْ مَعَ اللهِ أثْمَرَ قَطِيعَةً للأرْحَامِ وَفَسَاداً فِي الأرْضِ وَهَذَا هُوَ الْفِسْقُ الَّذِي أثْمَرَ الْخُسْرَانَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

-وَقَالَ تَعَالَى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)أُولَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}.(محمّد:٢٣:٢٢).

-فَالتَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ

-يُثْمِرُ الاسْتِقَامَةَ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ بَيْنَمَا الْإعْرَاض عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُثْمِرُ الإفْسَادَ فِي الْأرْضِ وَقَطِيعَةَ الْأرْحَامِ،وَهَذِهِ الْقَبَائحُ تُثْمِرُ اللّّعْنَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى عِيَاذاً بِكَ اللَّهُمَّ مِنَ الْقَطِيعَةِ.

(ب)عَلَى مَائدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

-أَخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٥٦٤١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَهُوَ لَكِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}.

-فَمِنْ شُؤمِ قَطِيعَةِ الأَرْحَامِ قَطْعُ الْوَصْلِ بِاللهِ تَعَالَى،وَقَطْعُ الْوَصْلِ يَعْنِي حِرْمَانَ الْإِحْسَانِ فَتَدَبَّرْ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ

(٢٥١١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ}.

-فَمِنْ شُؤمِ قَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا فَتَدَبَّرْ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(٩٩٠٢)

مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:{ إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ}.(وَالْحَدِيثُ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب).

-فَمِنْ شُؤمِ قَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ عَدَمُ رَفْعِ أَعْمَالِ الْقَاطِعِ وَعَدَمُ قَبُولِ اللهِ لَهَا فَتَدَبَّرْ.

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٦٣٨)

وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٩)

مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ}.

-هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثُ الْوَعِيدِ ،وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَاطِعَ الرَّحِمِ مُرْتَكِبٌ لِكَبِيرَةٍ،وَمُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ،فَهُوَ بِارْتِكَابِهِ للكَبِيرَةِ مُتَوَعَّدٌ بِالْعُقُوبَةِ،فَمُرَادُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا فِي أَوَّلِ الأمْرِ مَعَ السَّابِقِينَ، بَلْ يُعَاقَبُ بِتَأَخُّرِهِ الْقَدْرَ الَّذِي يُرِيدُهُ

اللهُ تَعَالَى إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَانِعٌ مِنْ تَطْبِيقِ الْعُقُوبَةِ كَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ وَالابْتِلَاءَاتِ الْمُكَفِّرَةِ وَالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(ج)آثَارُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ:

-وَرَدَتْ آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-فِي ذَمِّ قَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ وَبَيَانِ شُؤْمِهَا أَذْكُرُ مِنْهَا:

-مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْحَاكِمُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مُسْتَدْرَكِهِ

(٤:٥٢٩)وَقَالَ:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحِ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَوَافَقَهُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-وَوَافَقْهُمَا الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي(قِصَّة الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ص:١٠٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ:{كُنْتُ بِالْكُوفَةِ، فَقِيلَ: خَرَجَ الدَّجَّالُ، قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَقُلْتُ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَأَتَى عَلَيَّ الْعَرِّيفُ، فَقَالَ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يُطَاعِنُونَهُ، قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، فَنُودِيَ إِنَّهَا كَذِبَةُ صَبَّاغٍ، قَالَ: فَقُلْنَا يَا أَبَا سَرِيحَةَ مَا أَجْلَسْتَنَا إِلَّا لِأَمْرٍ فَحَدِّثْنَا، قَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرَجَ فِي زَمَانِكُمْ لَرَمَتْهُ الصِّبْيَانُ بِالْخَذْفِ، وَلَكِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِي بُغْضٍ مِنَ النَّاسِ، وَخِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ، فَتُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ طَيَّ فَرْوَةِ الْكَبْشِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ ، فَيَغْلِبُ عَلَى خَارِجِهَا وَيَمْنَعُ دَاخِلَهَا}.

-فَمِنْ عَلَامَاتِ خُرُوجِ الدَّجَالِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ وَإِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَمَنْشَأُ ذِلِكَ خِفَّةُ الدِّينِ أَيْ ضَعْفُهُ فَتَدَبَّرْ.

-وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ:لَا تُصَاحِبْ قَاطِعَ رَحِمٍ؛ فَإِنّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَعَنَهُ فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ : آيَة فِي الرَّعد ، قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.(الرَّعد:٢٥)،وَآيَة فِي سُورَة مُحَمَّد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ

أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}.(محمَّد:٢٣:٢٢).   (انْظُرْ:"مساوئ الأخلاق للخرائطيِّ": ص ٣١٥).

-وَقَالَ الطِّيبِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{إِنَّ اللهَ يُبْقِي أَثَرَ وَاصِلِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا، فَلَا يَضْمَحِلُّ سَرِيعًا، كَمَا يَضْمَحِلُّ أَثَرُ قَاطِعِ الرَّحِمِ}.   (انْظُرْ:"فتح الباري"لابن حجر العسقلانيِّ: ج ١٠ ص ٤١٦).

•وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَا فَضِيلَةَ صِلَةِ الأرْحَامِ،وَشُؤمَ الْقَطِيعَةِ،فَنُحَذِّرُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَمِنْهَا:

(١)الْجَهْلُ وَضَعْفُ الإيمَانِ؛ فَمَنْ جَهِلَ خُطُورَةَ الْقَطِيعَةِ أوْ ضَعُفَ إيمَانُهُ فَهُوَ لَا يُبَالِي فِي قَطِيعَةِ رَحِمَهُ.

(٢)الانْشِغَالُ بِأمُورِ الدُّنْيَا وَالسَّعْيُ فِيهَا،وَنِسْيَانُ الْحَقِّ الْوَاجِبِ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ.

(٣)التَّكَلُّفُ الزَّائِدُ فِي الضِّيَافَةِ سَوَاءٌ فِي الْبَيْتِ أوْ فِي الاجْتِمَاعَاتِ الدَّوْرِيَّةِ للأُسْرَةِ؛ فَالْبَعْضُ لَا يَسْتَطِيعُ أنْ يُجَارِيَ غَيْرَهُ فِي التَّكَالِيفِ لِقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي الْقَطِيعَةِ.

(٤)الْبُخْلُ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ،لَمَنْ كَانَ فِي مَنْصِبٍ وَرَزَقَهُ اللهُ مَالاً،تَجِدُهُ يَقْطَعُ رَحِمَهُ إمَّا بِعَدَمِ نَفْعِهِ لِمَنْ يَحْتَاجُ مِنْهُمْ، أوْ بِعَدَمِ صِلَتِهِمْ كُلِّيًّاَ؛ كَيْ لَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً حَسَنَةً، أوْ مُسَاهَمَةً بِمَالٍ لأسْرَةٍ مُحْتَاجَةٍ مِنْهُمْ.

(٥)كَثْرَةُ الْمُعَاتَبَةِ وَاللَّوْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ،وَالْحِدَّةُ فِي ذَلِكَ،فَتَحْصُلُ الْقَطِيعَةُ بَيْنَهُمْ.

(٦)الظُّلْمُ فِي الْمِيرَاثِ وَأكْلُ حُقُوقِ بَعْضِ الْوَرَثَةِ يُؤدِي لِقَطِيعَةِ الْأرْحَامِ.

•فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ قَطِيعَةِ الْأرْحَامِ فَمَضَارُّهَا كَثِيرَةٌ مِنْهَا كَمَا ذَكَرْنَا:حُصُولُ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْقَاطِعِ،وَأيُّ خَيْرٍ سَيَجْنِيهِ مَنْ قَطَعَهُ اللهُ؟وَأنَّهَا سَبَبٌ لِضِيقِ الرِّزْقِ وَقِلَّةِ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ، وَأنَّ الْقَاطِعَ إنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الْجَنَّةِ فَإنَّهُ يَتَأخَّرُ فِي دُخُولِهَا بِسَبَبِ عِظَمِ ذَنْبِ الْقَطِيعَةِ، وَأثَرُ الْقَطِيعَةِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ

كَبِيرٌ، تَفَكُّكٌ فِي الأُسَرِ،وَمِنْ ثَمَّ تَفَكُّكٌ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَضَارِّ وَسَيِّءِ الآثَارِ.

•فَيَاأَيُّهَا الْقَاطِعُونَ للأرْحَامِ وَيَاأَيَّتُهَا الْقَاطِعَاتُ:الْبَدَارُ بالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ فَلَا تَوْفِيقَ وَلَا بَرَكَةَ مَعَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ بَلْ الْوَعِيد الشَّدِيد فِي الْآخِرَةِ فَبَادِرُوا قَبْلَ أَنْ تُبَادَرُوا بِالْمَوْتِ،وَتَأَمَّلُوا قَوْلَ الْمُقَنّعِ الْكِنْدِيِّ عَنْ قَوْمِهِ:

-فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِيْ وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ

وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَاً.

-وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِيْ حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ

وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّيْ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشدا.

-وَلَا أحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ

وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا.

•فَاللهم اجعل أَعمالنا كلها صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحدٍ فيها شيئاً، وآخر دعوانا أن الحمد للهِ ربِّ العالمين.



مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

كتب الشيخ في الموسوعة علي مكتبة نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

